التصوف الإسلامي والطريق إلى المناعة الروحية

د/ آمال محمد ربيع
مدرس الفلسفة الإسلامية
كلية التربية – جامعة عين شمس

ملخص:

يتناول البحث الحالى قضية من القضايا الهامة في الفكر الروحى الإسلامي، وهو يعد حلقة من حلقات الدراسات الحضارية والدينية في مجال ما يعرف بإسم التصوف الإسلامي، ويطلق عليه مصلطح الدراسات الروحية، وتشير إيفلين اندرهل (بتطور الوعى الروحى لدى الإنسان) The Development of mans Spiritual Consciousness .

وموضوع تأنيس الإنسان يعنى بالبحث عن الإنسان باعتباره إنسان حقيقى يحقق إنسانيته عندما يتمكن من الوصول إلى مرتبة جمعه مع حقيقته في العين الثابتة أو مرتبة تأنيسه التي هي للحق من جانب وللخلق من جانب آخر.

ويعد هذا البحث في مجال التصوف الإسلامي الفلسفي الذي حرص رواده على تحديد المعنى الدقيق والصفات الفارقة التى تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، بل تعنى بالبحث عن الإنسان في أعلى مراتبه وهى مرتبة التأنيس. الأمر الذى لا يحظى به بنى البشر إلا بالعودة إلى أصل الإنسان في العين العلمية التى هي له في العلم الإلاهى.

الكلمات المفتاحية: الإنسان في الإسلام – التأنيس (المعنى الأصطلاحى) – خلق الإنسان عند الفلاسفة – ضرورة الحياة الروحية للإنسان.

تساؤلات البحث:

١. من هو الإنسان المؤنس أو الواصل إلى مرتبة تأنيسه؟
٢. كيف يمكن للإنسان فنظل هذا العصر أن يصل إلى مرحلة تأنيسه؟
٣. هل تم اتصال بين منهج التصوف الروحى وبلوغ الروح الانسانية إلى درجة من المناعة الروحية.
٤. "القشة قطمت ظهر البعير" هل القشة ثقيلة أم البعير منهك الروح، كيف يمكن لفيروسات الروح أن يقضى عليها المنهج الروحى الصوفى.
٥. ما هى وسائل رفع المناعة الروحية؟

مناهج البحث المستخدمة:

اعتمد البحث الحالى على المنهج التاريخى وكذلك المنهج التحليلى والنقدى لتقديم وإثبات فرضياته بشكل منطقى استدلالى، وكذلك استخدم المنهج التطبيقى بشكل جديد حيث كيف يمكن علاج أرواحنا من خلال تطبيق المنهج الصوفى الروحى، وبذلك نكون قد أظهرنا كيف يمكن أن نطبق العلاج بالفلسفة.

الإنسان في الإسلام:

يذكر الباحثون فى علوم الإنسان أن نظرة الإسلام إلى الإنسان نظرة مختلفة عن غيره من الفلسفات والنزعات المادية والالحادية.

فأهم ما يتميز به الاسلام، أنه يأخذ الكائن البشرى على ما هو عليه، لا يحاول أن يفسره على ما ليس من طبيعته وهو فى الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب الطبيعة البشرية إلى أقصى مدى ممكن، والإنسان فى نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا هو بالحيوان، لكنه يمتلك من النوازع الفطرية والغرائزية ما قد يهبط به إلى أدنى من مستوى الحيوان، ثم أنه يمتلك عقلاً، وروحاً يمكن لهما أن يسموا به إلى مستوى الملائكة.

ويخاطب الإنسان فى القرآن الكريم باعتباره خليفة الله فى الأرض لقوله جل شأنه: **((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٣٠} وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {٣١} قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ {٣٢} قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ {٣٣} وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {٣٤} وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ {٣٥} فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {٣٦} فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {٣٧} قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٣٨} وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٣٩}))** **(سورة البقرة، الآيات ٣٠ : ٣٩)**

وواضح فى هذه الآيات أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض، ومن المسلم به أن الخليفة لا بد أن يكون مزوداً "بما يرفعه إلى مستوى الاستخلاف، فيعلم الله آدم

الاسماء كلها ويزوده بالنصائح التى لو اتبعها لما أزله الشيطان، ويعلن رب العزه للملأ من الملائكة فى السماء أنه اختار آدم ليجعله خليفته فى الأرض، فيهتز الملائكه، بل ولعلهم فزعوا لما سمعوا هذا النبأ لعلمهم أن الإنسان قد يفسد فى الأرض ويسفك فيها الدماء، ونرى الملائكة الذين لا يعصون لله أمراً، يراجعون ويستفسرون فتأتيهم الإجابة فى امتحان عسير بعد أن علم آدم الاسماء كلها فأنبأ بها وعجز الملائكة عن الإلمام بعلم آدم الذى تلقاه من لدن عزيز حكيم – وعندما أمروا بالسجود لآدم سجدوا إلا إبليس أبى واستكبر.

وكان طبيعياً أن يحكم الله عليه بالفكر ويلعنه إلى يوم يبعثون، لأنه خالف أمر الله بالسجود لمن أعده لخلافته فى الكون وإعمار الأرض.

وتبدأ قصة خلق الإنسان لتوضح لنا أنه لم يكن شيئاً مذكوراً لقوله جل شأنه: **((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً {١} إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً {٢} إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً {٣}))** (سورة الإنسان، آية ١ : ٣)

والآيات توضح مسلك الإنسان فى الارض فإما أن يتجه إلى عمل الخير وإما أن يتجه إلى العصيان وارتكاب الآثام، لأنه خلق باعتباره كياناً مزدوجاً لقوله جل شأنه: **((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ {٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {٧٢}))**، وقوله تعالى **((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ {١٢}))**.

فالإنسان كما توضح الآيات قبضة من طين – ونفخة وقبس من روح الله، وتظل هذه النفخة العلوية سارية فى الإنسان غير منفصلة عن أصله الطينى، لذلك نراه كياناً جسمياً وروحياً فى نفس الوقت.

لذلك يذكر الله أن فى الإنسان جانباً ضعيفاً فيقول جل شأنه: **((يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً {٢٨}))** (سورة النساء، الآية ٢٨).

ويؤكد البارى على هذا الجانب قوله: **((خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ {٤}))** (سورة النحل، آية ٤).

وقوله: ((**وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً {٦٧}**)) (سورة الإسراء، آية ٦٧).

وقوله جل شأنه فى خصال الإنسان الحيوانى الضعيف: ((**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً {٨٣}**)) (سورة الإسراء، آية ٨٣).

ومن صفات الإنسان الحيوانى البخل والتقصير حتى لو امتلك خزائن الأرض جميعا لقوله جل شأنه: ((**قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً {١٠٠}**)) (سورة الإسراء، آية ١٠٠).

ولأن الإنسان الحيوانى أكثر ميلا إلى الكفر بنعمة ربه فإنه لا يصدق ما جاءه من هدى وبشرى فى القرآن الكريم لذلك فهو مجادل بالباطل ليدحض الحق لقوله جل شأنه: ((**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً {٥٤}**)) (سورة الكهف، آية ٥٤).

ويكذب الإنسان بآيات ربه لقول الحق جل وعلا: ((**وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً {٦٦} أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً {٦٧}**)) (سورة مريم، آية ٦٦، ٦٧).

كما يتصف الإنسان الحيوان بالعجلة فيما يتعلق بفهمه لما جاء من آيات بينات فى القرآن الكريم لقوله الحق ((**خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ {٣٧}**)) (سورة الأنبياء، آية٣٧).

وعما يميز الإنسان الحيوان أنه قد يفكر بآيات ربه لقوله جل شأنه: ((**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ {٦٦}**)) (سورة الحج، آية ٦٦).

ولهذا لم يكن بعيداً عن هذه الصفات الحيوانية وغيرها أن تأتى الآيات البينات التى تؤكد على خسة نشأته الأولى لقوله جل شأنه: ((**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ {١٢} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**)) (سورة المؤمنون، الآية ١٢ : ١٤).

وخلق الإنسان من طين أو من "حمأ مسنون" أو نطفة من ماء مهين إشارة إلى خلق آدم أبو البشر عليه السلام فى نشأته الأولى.

ويوضح جل شأنه أن كمال النشأة الإنسانية لا يكون إلا بمشيئة الله، فإن شاء أبقى الإنسان فى صورته الحيوانية التى تتسم بالضعف، والعجلة، والغباء، والتقتير، والكفر بنعم الله إلى آخر ما يتصف به الحيوان من نوازع فطرية وغريزية، وإن شاء رفع الإنسان إلى أعلى مستوى من السمو والكمال والهمه التقوى وعصمه من الفجور، لقوله جل شأنه: ((**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ {٦} الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ {٧} فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ {٨}**)) (سورة الإنفطار، الآية ٦ : ٨).

وإن شاء ركبك فى صورة إنسانية وإن شاء ركبك فى صورة حيوانية، وإن شاء رفعك إلى مصاف الملائكة والأطهار، وإن شاء هبط بك إلى مستوى المردة الأشرار، وتلك هى المعركة التى يخوضها الإنسان كى يحقق فيه إنسانيته وتأنيسه.

مصطلح التأنيس (المعنى الإصطلاحى):

"التأنيس" هو إشارة إلى دقيقة فارقة بين الإنسان بالمعنى الحيوانى والإنسان عندما يصل إلى مرتبة تأنيسه فى العلم الإلهى الأزلى.

أو هى محاولة الإنسان الحيوان أن يحقق فى ذاته أعلى مستوى حضارى وأسمى مستوى روحى بتوخى العودة إلى الأصل الالهى المودع فيه، أو بتحقيق كمال الأمر الإلهى المعنى بإيجاده وتأنيسه.

ومن الغريب أن يضع ابن عربى مرتبة الإنسان فوق مرتبة الإنسان الكامل، بل هو يص الإنسان المؤنس بأنه أكمل نشأة ظهرت فى الموجودات، لأن الإنسان الكامل هو الذى وجد على الصورة يقصد الصورة الإنسانية – لا الإنسان الحيوان.

وفى كتابه (علقة المستوفز) يذكر ابن عربى، أن الإنسان بصورته الإنسانية هو الذى يصلح ان يطلق عليه انساناً كاملاً، وهو المعنى باخللافة التى تصح للإنان الحيوان، ومما يشير هنا إلى أن "ابن عربى" لم يكن يقصد مجرد الصورة الذهنية المثالية للإنسان أنه أشار إلى الإنسان فى أفارده من الرجال والنساء، فجعل هذا المعنى بحثاً عن إنسان يتصف بكل صفات الإنسانية الكاملة لقوله "وبالإنسانية والخلافة صحت له الصورة على الكمال، وما كل إنسان خليفة، فإن الإنسان الحيوان ليس بخليفة عندنا وليس المخصوص لها أيضاً الذكورية فقط فكلامنا إذن فى صورة الكامل من الرجال والنساء" كما يذكر استاذى الدكتور إبراهيم ياسين".

وتعد إشارة ابن عربى إلى أن مصطلح التأنيس ينطبق على الأفراد من النساء كما هو الحال بالنسبة للرجال تأكيداً على حقيقة أن التأنيس مرتبة ليست خاصة بجنس دون آخر، وإنما هى حقيقة الإنسان باعتباره إنساناً متحققاً فى أفراده من النساء والرجال.

ومصطلح التأنيس "هو ترجمة المظهر المحمدي، وترجمة أحواله وأخلاقه وبيان طرق ظهوره بوصف الكمال، وترجمة أحوال متابعيه وأخلاقهم وطرق وصول كل منهم إلى كماله المختص به" كما يذكر محمد بن حمزه الفنارى.

ويظهر ايضاً بمعنى الخليفة The vice gerent of God ويشير إليه أيضاً بمعنى الإنسان الكامل The perfect Man.

وهذه المعانى فيها كثير من الخلط وعدم الوضوح ذلك أننا لاحظنا أن ابن عربى وتلاميذه يضعون مرتبة التأنيس فوق مرتبة الكمال، ولا يكون الكامل خليفة الله فى الأرض إلا إذا وصل إلى مرتبة التأنيس.

وقد تكون معان من أمثال حقيقة الحقائق The Reality of the Realities، والإنسان الكبير The Great man، والحقيقة المحمدية أقرب إلى معنى التأنيس وأدق وصفاً للمرتبة التى يصلها، والصفات يتصف بها والأفراد الذين يحققون فيهم مرتبة تأنيسهم.

ويذكر محمد بن حمزة الفنارى أن الصورة الإنسانية نسخة مستحصلة من الحضرة الإلهية المشتملة على جميع الممكنات فيعبر عنه بمصطلح "نسخة الحضرة الإلهية".

وحقيقة الإنسان وكونه إنساناً بالفعل تعين الوجود من حيث هو إنسان جامع بين الخصوصية الباطنة والحضور الظاهر والجمع بينهما – وهذا الجمع هو السبب المباشر فى النشأة الجامعية بين أحكامى نسبة البطون والظهور".

ويحدثنا الفنارى عن مقام "المطلع" الذى يصل إلى مقام الإطلاع، ثم يجاوزه إلى مقام ما بعد "المطلع" وهو المقام الذى اختص به الله جل شأنه صوفة عباده من الأنبياء الذين أطلعهم على ما شاء من حقائق صفاته وأسرار أحكام وجوده.

والفنارى يضع الإنسان الكامل فى مرتبة المطلع، أما الإنسان الحقيقى الواصل إلى مرتبة تأنيسه فهو فى مقام ما بعد المصطلح.

وهكذا لا يجعل الفنارى "الكامل" أكمل المراتب، فلا نهاية عنده لمراتب الكمال ومراتب الأكملية، كما لا نهاية للمعلومات والمقدورات.

كما يعبر القونى والفنارى عن مقام الإنسان الحقيقى بأنه الإنسان الواصل إلى مرتبة "العقل الأول" ويأخذ من الله بلا واسطة بحكم وجوبه، فيحل مقام الإنسانية الحقيقية التى فوق الخلافة الكبرى".

وهكذا يتسع مصطلح الإنسان المؤنس ليشمل الإنسان المخلوق من طين، ومن حمأ مسنون، ومن نطفة من ماء مهين.

وكذلك يشمل هذا المصطلح إعتبار الإنسان المؤنس هو الإنسان المطلق الكلى وخليفة الله فى الأرض، والقطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود، وهو الإنسان فوق الكامل، والإنسان الواصل إلى مقام ما بعد المطلع، والمتخطى لمقام الكمال.

وهو الإنسان الفاضل، والحقيقة المحمدية، وحقيقة الحقائق، والإنسان الكونى الكبير، ومراتبه موجوده فى أفراده من الأنبياء منذ آدم وحتى محمد عليهما جميعاً السلام، وهو الإنسان المطلق، والإنسان الأكبر، والقابل لجميع الموجودات قديمها وحديثها. "عند إبن عربى" و "الطباع التام" عند السهرودى وسوف ترد هذه المصطلحات لتوضح الأبعاد المختلفة لنظرية التأنيس.

خلق الإنسان عند الفلاسفة:

يذهب الفلاسفة المسملون إلى التمييز بين جانبين فى الانسان أحدهما المتعلق بالنفس والجسد، والآخر متعلق بقوة قدسية سامية. وأحدها مشكل مصور متحرك وساكن والآخر متباين وجامع بين عالمين هما عالم الأمر وعالم الخلق. أو هو حق وخلق فى آن واحد.

فالفرابى مثلاً يرى أن حقيقة الانسان تكمن فى أنه مكون من صورة ومادة، فيقول عنه أنه مركب من جوهرين أحدهما متحرك ساكن متميز غير منقسم، والثانى متباين للأول.. يناله العقل ويعرض عنه الوهم، فقد جمع بين عالم الخلق وعالم الأمر.. لأن روحك من خلق ربك".

ويرى إبن سينا أن هناك جواهر عقلية قدسية، يطلق عليها القوة الشريفة القدسية تتحقق للإنسان من خلال ثلاث شروط منها:

١. السفاء وتألق الذهن.
٢. ملكة التخيل.
٣. قوة إخضاع المادة الخارجية لخدمة هذا الشخص وطاعته كما تطيبع أجسام الناس أوامرهم.

وبتحقق هذه الشروط تجد درجة النبوة ويكتسب العقل القدسى الذى يتلقى العلوم فجأة وبدون أى تعليم بشرى سابق من العقل الفعال.

ضرورة الحياة الروحية للإنسان:

يواجه الفكر الروحى الصوفى فى العالم الإسلامى أزمة طاحنة وظالمة وذلك أن كثير من المفكرين المسلمين ينكرون على الصوفيه مشاربهم واتجاهاتهم، ويغلقون الباب أمام كل اجتهاد فكرى حتى ولو كان مستمداً من القرآن والسنة خصوصاً عندما يكون صاحب هذا الاجتهاد صوفياً أو سائراً على طريقة الصوفية ذلك أنهم يحكمون بأن اتباع التصوف هم دائماً من الخارجين على الشريعة الإسلامية.

ولما كان الاتجاه الروحى فى الانسان قد أثخن جراحاً تحت وطأة الاتجاهين المادية، فإن الحاجة تصبح ملحة لإعادة توازنه الذى اختل واضطرب بسبب ضغط الاتجاهات المادية، والمذاهب النفعية والنزاعات الشكية والإلحادية، أن الجسم يصاب بالمرض عندما يفتقد العناصر الحيوية اللازمة للحفاظ على سلامته وحيويته – والأمر شبيه بذلك فيما يتعلق بالروح، ذلك أن الإنسان قد يدمر توازنه الروحى إذا ما أطلق العنان لنزواته وإذا ما دأب على إشباع رغباته وغرائزه – فهنا تخبو الروح وتتوارى وينشط الجسد بما يحمله من آفات.

"يقول الكسيس كارل" من الغريب أن الإنسان الحديث قد استبعد من الحقيقة الواقعية كل عامل نفسى روحى، وبنى لنفسه وسطاً مادياً بحتاً لذلك نراه يصاب بالإنهيار.

فإذا لاحظنا أن سلوك شبابنا قد أصبح سلوكاً مبنياً على أسس مادية غرائزية لا أخلاقية.

وإذا لاحظنا أن كثير من المؤصصات الإعلامية والفكرية تساهم – وربما دون وعى – فى دفع الشباب إلى مهاوى الرذيلة، أو إلى التمسك بحرية جامحة والتعلق بصيغ وقوالب فكرية خادعة – فإننا ندرك على الفور السبب الكامن وراء كل الأمراض الاجتماعية والخواء الفكرى والروحى.

إنك تسمع الأفراد يرددون الكثير من الكلمات والعبارات التى ترجع فى أصلها إلى القيم الإسلامية والروحية وهم لا يفهمون معناها، أو هم لا يتمسكون بتطبيقها – فقد يقول المسلم "توكلت على الله" وهو لا يعرف معنى التوكل ولم يعد له عدته، وقد يقول الصبر مفتاح الفرج وهو نافذ الصبر فاقد الإيمان وهو يردد بعض آيات القرآن دون أن يعى لها معنى – ودون أن يهتم باتباع السلوك الذى تدعو إليه.

لقد وصل الأمر فى كثير من الأحيان إلى حد الاعتقاد أن العظة الموجهة من خلال آيات القرآن أمر لا يخص الأنا ويخص الآخر أو الأنت – ورغم أننا ندرك أن الموت هو نهاية كل كائن حتى إلا أننا عندما نسمع قوله تعالى: **((كل نفس ذائقة الموت))** (سورة آل عمران، الآية ٨٥)، نظن أن الموت هو من نصيب الآخرين فقط، وأن الذات فى مأمن منه، فنواصل حياة الشهوة والجسد وتسلط المادة.

وإذا كان الأمر قد وصل إلى هذا الحد من الإنهيار الروحى المقابل للتمسك الشديد بالقيم المادية – فإن المفكر يسأل نفسه فى كثير من الأحيان – ماذا – يفعل الإنسان المسلم إذا أراد أن يتخلص من المعاص التى يرتكبها لمجرد الاختلاط بالجماعة المادية.

وماذا يفعل إذا أراد أن ينجو من الفتن والخصومات؟ وماذا يفعل إذا أراد أن يعصم نفسه من الوقوع فى إثم الغيبة والنميمة والظن الآثم.

ثم ماذا يفعل كى يقاوم شهوة البطن والفرج؟ وماذا يفعل بإزاء صنوف الاستهواء والبذخ؟

وماذا يفعل المسلم فى مواجهة النفاق، والرياء، والكذب، والخوض فى أعراض الناس وسيرتهم – وشهادة الزور وتزييف الحقائق وارساء قواعد الظلم والطغيان.

ولقد حاول الإنسان عبر العصور أن يجد إجابات على هذه التساؤلات – ومع ذلك جاءت فلسفات عديدة "كالبوذية" "والرواقية" وفلسفة "إسبينوزا" "وأشيلر ماخر" "وهيجل" خلوا من البناءات الأخلاقية المتكاملة لأنها اختزلت الأخلاق إلى لا شئ تقريباً – لذلك اتجه البحث إلى التصوف باعتباره كل نظرة فى الحياة ترضى الفكر وتعطى وجود الإنسان معنى يمنعه من القناعة بأن يكون جزءاً من الوجود، لكن يجمعه على

أن ينتسب إليه بروحه وبدنه – وكذلك نحن نعتقد أن أخلاق تكميل الذات على صلة وثيقة بالتصوف وتعقل أخلاق تكميل الذات معناه مجرد البحث فى تأسيس الأخلاق على التصوف، والتصوف لا يقدم نظرة ثمينة فى العالم.

والحياة إلا بالقدر الذى يكون أخلاقياً، كما يقول ألبرت أشفيتسر.

إن المضمون الأخلاقى فى التصوف الإسلامى عظيم جداً لدرجة أنه يمكن أن يكون نظرية أخلاقية متكاملة تساعد على بعث الروح الباطنية والأخلاق الفعالة والمعتمدة على الكتاب والسنة، كذلك فإن الرياضات الروحية التى اتبعها صوفية المسلمين لتقويم بواطنهم وتطهير نفوسهم هى من الأصالة والفعالية بحيث يصح أن يكون علاجاً لأمراض نفسية كثيرة يعانى منها الجيل المعاصر من الشباب.

لذلك يجب أن يمتد كفاح الفكر تجاه التصوف الأخلاقى المعتمد فى أصوله على مصادر روحية إسلامية مستمدة من القرآن الكريم، ومن حديث رسول الله (ص) بالإضافة إلى الاجتهادات الفكرية الأصلية والمعتمدة على ذلك التراث الروحى عند صوفية المسلمين كلما وجدت.

ونحن واجدون ما ننشده عن صوفية الحقائق الذين تفرغوا للعبادات والزهد فى الدنيا، وهم الذين لا يشتغلون إلا بالله وبأداء الفرائض، كما يتفكرون فى خلق السموات والأرض، وتجريد النفس عن كل ما يشغلها عن ذكر الله، كما يقول ابن تيمية لذلك فسوف نبحث عن أصول هذه الاجتهادات فيما ساد أحوال المسلمين من الصحابة والتابعين الذين كانوا أكثر ارتباطاً بالقرآن والسنة المطهرة ولا يفزعنا أن كان البعض قد اشتد حملته على الصوفية فراحوا يقذفونهم بالصفات التى تخرجهم عن الجماعة المسلمة وتصفهم بالكفر والزندقة، مع أن فى سلوكياتهم ما يمكن أن يقدم للمسلم منهجاً صالحاً للجماعة المسلمة – ولا يهمنا هنا أن يقال أن هؤلاء الذين قال ابن تيمية فى حقهم، والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين، وفى كلا الصنفين من قد يجتهد ويخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب.

ونحن وإن كنا لا نهتم كثيراً بإطلاق اسم "الصوفية" على جماعة من الناس انقطعوا لعبادة الله ومحاربة هوى النفس، واجتهدوا فى الطاعة، فإننا لا نريد أن نخردهم من الملة كما فعل البعض من الباحثين المحدثين، ونكتفى هنا بأن نذكر رأى عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١هـ، والمدفون ببغداد إذ يقول "المتصوف هو الذى يتكلف أن يكون صوفياً ويتوصل بجهده إلى أن يكون صوفياً، فإذا تكلف وتقمص بطريق القوم وأخذ به يسمى متصوفاً كما يقال لمن لبس القميص تقمص.. من ثم تأتيه الأشياء وهو لا يريدها ولا يبغضها بل يمتثل أمر الله فيها، وينتظر فعل الله فيها فيقال بها متصوفاً وصوفى إذا اتصف بهذا المعنى فهو فى الأصل صوفى مأخوذ من المصفاه – يعنى عبد صفاه الحق عز وجل، ولهذا قيل الصوفى من كان صافياً من آفات النفس خالياً من مذموماتها سالكاً لحميد مذاهبه ملازماً للحقائق، غير ساكن بقلبه إلى الخلائق والتصوف الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخالق.. والمتصوف مكابد لنفسه، وهواه، وشيطانه.

فإذا بقى الأمر على هذا النحو المرتبط بالكتاب والسنة فإنه يكون مناسباً أن نأخذ الطريقة على محمل الاجتهاد المحمود شرعاً، وهو اجتهاد ينمى الجانب الروحى فى الإنسان ويسمو به فوق المستوى الشهوانى الغرائزى الوضيع.

ومن ثم فلا بد من البحث عن الطريقة المثلى بها يصل الإنسان إلى رياضة نفسه وتهذيبها عن الرذائل وتخليه عنها باتباع كل فضيلة وزوال روح الشر من نفسه – على أساس أن الصوفية ينظرون إلى النفس باعتبارها منبت الشر، ومنبع الأخلاق الدنيئة والأفعال الذميمة" أى المعاصى والعادات السيئة مثل الكبر والحسد والبخل والغضب والطمع – وقاعدة رياضة النفس تتحقق بمنعها عن كل ما تتوق إليه وتشتهيه وخاصة من الأشياء التى ألفتها".

يقول محمود شيسترى:

لا أدرى أين قد تكون أنت مخالف الرسم والعادات لتنجو

ولسوف نتابع رياضة النفس فى المجاهدة والعزلة والجوع والصمت.

طرق إكتساب المناعة الروحية:

أولاً: مجاهدة النفس:

(أ) المجاهدة .. هى؟

المجاهدة فى الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب فى الشرع كما يقول الجرجانى.

كما يذكر القشيرى أن أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها فى عموم الأوقات وتقترن المجاهدة بنوع من المواجهة الصارمة حيث درجت النفس الأمارة بالسوء على التمرد والإصرار على ارتكاب المعاصى.

لذلك وجب كبح جماحها ومراعاة حالها، وكسر سلطان الغضب والتمرد والجموح بالخلق الحسن وهذه هى الدرجة الأولى فى المواجهة – فإذا ما ازدادت النفس جموحاً وتمرداً فمن الواجب كسر ذلك عليها، واحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة أصلها وقذارة فعلها.

ويقترن جهاد النفس بإزالة الأخلاق الذميمة التى إذا ما تمكنت من النفس جعلت منها عبداً ذليلاً لشهواتها وغرائزها، وتعد مثل هذه الأخلاق من الآفات الاجتماعية الخطيرة التى تهدد القيم الأخلاقية الإسلامية، وتصيب المجتمع الإسلامى بالتفكك، وتبذر بذور الحقد والكراهية بين الناس يقوم الكمشخانوى "أن الصوفى يجاهد نفسه إلى أن يزيل أخلاقه الذميمة من العجب والرياء والكبر والحسد والبخل والحقد واليأس، والقنوط من رحمة الله، وحب الجاه والمدح، وإتباع الهوى، والتذلل للدنيا والشماتة والجبن والتهور والغل والغش فهذه وأمثالها من صفات القلب ومغارس الفواحش فيه ومئات الأعمال المحظورة".

(ب) ولكن ما هى حقيقة النفس التى تتصف بكل هذه الصفات القبيحة وكيف يمكن مغالبة هواها؟

الواقع أن النفس من وجهة نظر اللغة هى وجود الشئ وحقيقته وذاته، وهى فيما جرت عليه عادات الناس وعباراتهم تحتمل معانى كثيرة – فالنفس عند طائفة بمعنى الروح، وعند فريق بمعنى المرؤة وعند قوم بمعنى الجسد، وعند جماعة بمعنى

الدم – أما مراد محققى هذه الطائفة من هذا اللفظ فليس شيئاً من هذا كله وهم متفقون على أنها فى حقيقتها منبع الشر، وقاعدة السوء – وهم يعتقدون أنها السب فى ظهور الحقد والسفه وسوء الخلق.

ومن عيوب النفس أنها قد تعطيك الاحساس بالزهد مثلاً حتى يخيل غليك أنك من الزاهدين حتى إذا ملكت الدنيا أو القليل منها هاجت منها الرغبة، وكانت هى المطالبة والمنازعة والصادرة عن الزهد.

وكذلك تعطيك الرضا فى حال الرخاء والعافية قبل وقع القضاء بالبلاء والمصائب حتى يخيل إليك أنك من الراضيين... فإذا نزلت المصيبة أو حل البلاء امتنعت عن الرضا بل عمدت إلى تهييج الجزع والتسخط – وكانت هى التى تدعو إلى ما يكره الله عز وجل من السخط، وهى قد تخيل إليك أنك من المتوكلين إلا أنها سرعان ما ينقلب حالها فتتعلق بالأطماع كذلك فقد يخيل إليك أن للخوف أصل فى قلبك، كما أن للصدق والإخلاص والتوكل والرضا مكاناً فيه فلما جاءت الأحوال التى يتبين فيها هل صدقت فيما ظننت أنه قد سكن قلبك من هذه الصفات هاج الهوى منها وجاشت الشهوات فى ضد ذلك كله فلو كان ذلك ساكناً قلبك لهاج فى وقت الحاجة إليه – ولما هاج ضده كما يقول المحاسبى، ومن طبيعة النفس أيضاً أنها مخادعة، متصنعة تنتهز الفرص لتنقض على صاحبها كى تخرجه عما يظن أنه كان فيه من صفات حسنة وهى تنازعك دائماً، فما ضاع خير قط إلا لهوى النفس، ولا ركب الإنسان مكروهاً إلا لمحبتها، وهى لا تفتر عن الراحة إلى الدنيا والغفلة عن الآخرة فهى على هذا النحو تكون بمنزلة العدو اللدود لا يفتر لحظة ولا يمل ساعة من الدعوة إلى ركوب الهوى.

ومخالفة النفس رأس جميع العبادات وكمال كل المجاهدات كما يقول الهجويري، لذلك تكون موافقة هوى النفس عين الهلاك ورأس الكفر لذلك يحذر الحق تبارك وتعالى من غلبة الهوى وسطوة النفس لقوله تعالى فى جهاد النفس: **((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا))** (سورة العنكبوت، الآية ٦٩)، وقوله جل شأنه ناهياً عن متابعة الهوى: **((وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى))** (سورة النازعات، الآية ٤٠).

ذلك أن اتباع الهوى مقترن بالسقوط فى اللذة والشهوة وحب الجاه والرياسة وهو فتنة الخلق لأنه ضل الطريق وقاد الخلق أيضاً إلى الضلالة يقول تعالى **((أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله))** (سورة الجاثية، الآية ٢٣)، فالهوى إله معبود والويل لمن يكون هواه معبوده دون الحق، همته ليل نهار طلب رضاء هواه كما يقول ابن عباس، وقال النبى (ص٩: "أخوف من أخاف على أمتى اتباع الهوى وطول الأمل".

ويبدو لنا أن سلطان الشيطان على النفس وغلبته لها لا يأتى إلا عندما يسيطر شئ من الهوى على النفس عندئذ يأخذه الشيطان ويزينه ويجلوه لقلبه ويأخذ مما فى نفسه ليسرع إليه بما يشابه ما وجد فيه من هوى وكأن الإنسان هو الذى يدعو الشيطان ليغزوا قلبه ويسيطر على عقله فيقوده إلى حيث يهوى ويورده موارد التهلكة لقوله تعالى فى جواب إبليس إذ كان يقول **((فبعزتك لأخوينهم أجمعين))** (سورة طه، الآية ٨٢)، فقال الحق تقدس وتعالى فى جوابه: **((إن عبادى ليس لك عليهم سلطان))** (سورة الإسراء، الآية ٦٥)، ومن هنا فقد تبين أن حقيقة الشيطان متمثلة فى نفس العبد وهواه بمعنى أنه ليس خارجاً عنه أو منفصلاً وإنما هو كامن فيه يغالبه عندما يستشعر فيه ميلاً أو ضعفاً، ويسكن عندما يجد فيه قوة ومتعة منتظراً لحظة خواره لينقض عليه ويزين له الخطيئة لقوله (ص) "ما من أحد إلا وقد غلبه شيطانه إلا – عمر رضى الله عنه فإنه غلب شيطانه" (رواه الترمذى فى النوادر)، وترك الهوى يجعل العبد أميراً وسيداً لنفسه، وركوبه يجعله عبداً أسيراً لهواه، والتخلص من الهوى من أصعب الأمور ذلك أنه عجينة بنى آدم، يختلط بطينته ويصعب فصله لذلك فإن الخضوع للهوى ذل وقهر والخروج عنه عزة وحرية – يقول (ص) "الهوى والشهوة معجونة بطينة بنى آدم" (رواه النابلسى فى مسند الفردوس)، والشهوات أظهر صفات النفس ويقول عنها الهجويرى أنها معنى مبعثر فى كل أعضاء الآدمى، وجميع الحواس أبواب لها، والعبيد تكلف بحفظها ومسئول عن فعل كل منها.

فللعين شهوة وللسمع شهوة وللجسد شهوة وللسان شهوة والعبد مكلف بأن يقطع عن هذه الحواس دواعى الشهوة والهوى.

ومن آفات النفس وركونها إلى استجلاب المدح والذكر والطيب وثناء الحق.

وقد تحتمل أثقال العبادات لذلك ويستولى عليها الرياء والنفاق، فهى تقدم على الطاعة طالما استمتعت بالمدح وتنقطع عنها عند الامتحان والبلاء وكف المحيطين عن المدح والثناء.

ويعدد ذو النون المصرى مداخل الفساد إلى النفس فيرى أنها من ضعف النية بعمل الآخرة والثانى عندما تصير الأبدان رهينة للشهوات، والثالث عندما يغلبهم طول الأمل مع قرب الأجل والرابع إذا آثر القوم رضاء المخلوقين على رضا الخالق، والخامس إذا اتبعوا أهواءهم وحكموا شياطينهم ونبذوا سنة نبيهم عليه السلام، والسادس إذا جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم.

ويرى الغزالى أن النفس تصاب بالمرض نتيجة لما يدخل القلب من أمراض، وإذا كان كل عضو من أعضاء البدن له وظيفة يؤديها فإن المرض الذى يصيبه يعوقه عن أداء وظيفته على الوجه الأكمل لذلك كان مرض القلوب هو مما يمنعها عن أداء وظيفتها على نحو كامل – ويعرف الإنسان أنه مريض القلب عندما تكون الدنيا أحب إليه من الله ورسوله فهذه علامة وعرض من أعراض مرض القلب – ومرض القلب هو مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإنه دواءه مخالفة الشهوات، وهو نزع الروح، فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه، فإن الأطباء هم العلماء، وقد استولى عليهم المرض فالطبيب قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الدعاء عضالاً.

ويذكر جلال الدين الرومى فى المجلد الأول من ديوانه "المثنوى" أن النفس خصم باطنى عنيد يقاوم كل أنواع الإصلاح، فإذا ما أدركت أن الحرب عليها ضارية كمنت انتظاراً للحظة تنقض فيها على صاحبها، فإذا ما واتتها فرص انهيار الروح خرجت من مكمنها كالأفعى التى تبتلع فريستها.

يقول شعراً:

أيها الملوك إننا فتنا الخصم الظاهربوبقى خصم أمر منه فـــى اــباطـــــــن

هذه النفس جحيم والجحيم أفعـــــى إذ لا يعتريها نقص وضعف ولو بالغيان البحار

فإن هى احتست سبعة آخـــــــــر فلا ينطفئ لهيب الــمحرق لــلـخلـــــــــق

هل شبعت؟ هل تقول شبعت؟... تقول لا ولن هذه النار وهذا لظاها وهذا احراقـــــــــــــها

صيرت العالم لقمة وابتلعتها ولكن معدتها تنادى هل من مزيـــــــــــــــد

وهكذا أدرك الصوفية كيف تكون النفس قاتلة للخير وكيف تكون آفات قلوبهم وأمراض نفوسهم، فراحوا يصفون لها الدواء، فهم يعالجون البخل ببذل المال لا إلى الحد الذى يصير فيه الصوفى مبذراً، إنما بالاعتدال بين التبذير والتقتير.

وهم يقللون من الطعام لأن قلة الطعام موت الشهوات، كما أنهم يسهرون ليلهم فى العبادات ويميلون إلى الإقلال من الكلام والسلامة من آفات اللسان حتى تنقطع النفس عن الظلم والانتقام وتصبح نورانية روحانية حقيقة فتجول فى جنان وتسير فى مسلك الطاعات.

وتختلف رياضة النفس لكل إنسان حسب إختلاف أحواله فى الدنيا إلا أن الصوفية يعرفون لكل داء جواء وهم يستعينون على ذلك بالجوع والصمت والسهر والعزلة، ومخالفة النفس باعتبارها رأس كل خطيئة.

الخاتمة:

نجد أن إنسان العصر الحديث شبيه ببعضه الآخر (كل أشياؤه لخدمة البدلة وهو الجسم هو ذلك الوعاء الذي تعيش فيه)، ولكن الجسد ذلك ليس أنت، أنت الروح اللطيفة الربانية التي عندما دخلت في هذا الجسد سجدت له الملائكة بأمر الله (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين)، الروح هى سر السكينة، والسعادة ومستودع الخوف والقلق والوحدة.

ولذلك نخرج من هذا البحث بعدة نتائج، وهى:

١. تبرز فكرة التأنيس كشكل من أشكال تطور الوعى الروحى لدى الإنسان وبإعتبارها أحد أهم أشكال البحث عن الجانب الإلهى والأخلاقي والوجودى فى الإنسان.
٢. ذهب أفلوطين إلى أن ثمة فرقاً بين الإنسان الجسماني والإنسان الأول وذكر فى التاسوعات أن الإنسان الجسمانى أو الحيوانى هو صنم ذلك الإنسان الأول

الذى يمتلك حواساً قوية جداً تعمل في مواجهة الأنوار الساطعة بل هو نفسه نور ساطع يفوق جميع الأنوار الإنسانية.

٣. يأخذ الإسلام الكائن البشرى على ما هو عليه لا يحاول أن يفسره على ما ليس من طبيعته وهو فى الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب الطبيعة البشرية إلى أقصى حد ممكن، لكن الإنسان هنا ليس بالملاك ولا بالحيوان، بينما هو فى مرتبة وسط بين هذا وذاك وهو قبضة من طين ونفخة من روح علوية وفيه ركبت سبل الغواية وسبل الهداية، وعليه أن يختار بينهما.

٤. يلجأ الصوفية إلى الإقلال من المأكل والمشرب كوسيلة من وسائل جهاد النفس الموصل إلى الكمال الروحى، وهم فى هذا يقدمون نموذجاً رائعاً وسابقاً لعصره من الناحيتين الطبية والاقتصادية إلى جانب الناحية الروحية فالجوع يمثل عند القوم عمارة للباطن وتجرد من العلائق.

وهو طعام الملكات الروحية فبالجوع تقوى الروح وتهرم النفس، وبالجوع تموت مواطن الشهوة، لأن الإنسان إذا أكثر من الأكل ثقل بدنه وفترت أعضاؤه فلا يجد ميلا للعبادة.

الاجتهاد فى الطاعةوهنا يلمس الصوفية ناحية هامة من النواحى النفسية التي يؤكدها العلم الحديث، حيث أنه من الثابت أن الإنسان قد يميل إلى الخمولوالكسل كلما امتلأت المعدة بالطعام.

ومن النتائج المترتبة على فهم الصوفية للجوع كأحد الوسائلالتى يستخدمونها فى تهذيب نفوسهم أن الجوع هنا جوع ارادى أى أنه يتم بمحض اختيار الإنسان، فالممنوع بعد الأكل لا يكون جائعاً فى نظرهم وإنما الجائع هو ذلك الذى يجد الكثير من صنوف الطعام ومع ذلك يمتنع عن تناوله بهدف تقييد الشيطان وحبس هوى النفس.

ومن النتائج العصرية التى توصل إليها الصوفية قبل الأوان الجوع الإرادى وسيلة فعالة فى علاج الأحوال الاقتصادية خصوصاً عندما ترتفع الأسعار

ويشح الطعام بسبب اقبال الناس على اشباع البطون – فعندما كانت أسعار المأكولات ترتفع كان إبراهيم بن أدهم يقول لأصحابه "أرخصوها بالترك".

ويستجيب ألا ينام الهبد على شبع لأنه يكون سبباً في قسوة القلب، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام "أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم".

٥. والصمت عند الصوفية ليس صمتاً دائماً وإنما هو صمت عن القول القبيح وعن الغيبة والنميمة وإشاعة الأسرار.

٦. المناعة الروحية لهذا الإنسان لا بد من الإلتفات إليها فى هذا الكم الهائل من الأعباء المادية، فمثلاً عندما تكون مناعة الجسد ضعيفة، أبسط الميكروبات تهد جسم الإنسان، إذاً الإشكالية ليست فى قوة الفيروس، وإنما في ضعف المناعة، وكذلك العقل يصاب بضعف المناعة الفكرية بسبب قلة الثقافة فيصبح عرضة للأفكار الخاطئة والخرافات، وكذلك الروح هى من عند الله إذا سيطرت عليها الهموم والأزمات سيصبح ذلك بسبب ضعف مناعة الروح.

٧. عندما يصل الإنسان إلى مرتبة تأنيسه ويحقق أعلى مراتب الكمال ينفتح حسه وخياله وتنطلق رؤاه وأحلامه لتصبح معبراً بين الخلق والحق وقنوات موصله بين الغيب والشهادة ويكون قلب الإنسان منصة تجلى الله في الأرض وخياله محل ظهور الحقائق الوجودية داخل جميع العوالم ووسيلة تبادل النظر بين الحق والخلق.

لذلك نجد أن الطريقة التي إتبعها صوفية المسلمين لتقويم الباطن وعلاجه مما يلحق به من آفات وأمراض تعد ثورة روحية نحن في أشد الحاجة إليها الآن، وسط الثورة الرقمية التي نعيشها وتهدد السلامة الأخلاقية والنفسية عند الإنسان.

ربنا خلقنا وأحسن تصويرنا

ولكن ترك لنا القلوب لتشكيلها

قائمة المراجع

(١) إبراهيم ياسين. دلالات المصطلح فى التصوف الفلسفى، نشر دار المعارف، مصر، ١٩٩٣، مادة التأنيس.

(٢) إبراهيم ياسين. حال الفناء في التصوف الإسلامى، طبعة دار المعارف، ١٩٩٣م.

(٣) أبو العلا عفيفى، نظريات الاسلاميين فى الكلمة، بحث منشور فى مجلة الآداب جامعة القاهرة، سنة ١٩٣٤م، المجلد الثانى.

(٤) أبو حامد الغزالى، احياء علوم الدين، تحقيق بدوى طبانه، جـ٢.

(٥) عبد القادر الجيلانى. الغنية لطالبى أهل الحق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٦، جـ٢.

(٦) إحياء علوم الدين جـ٢.

(٧) ألبرت أشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة الدكتور. عبد الرحمن بدوى، طبع دار الأندلس – بيروت ١٩٨٣م.

(٨) الحارث المحاسبى. الرعاية لحقوق الله، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، القاهرة، ١٩٨٤.

(٩) محيى الدين بن عربى، الفتوحات المكية، حـ ٣ ، ص ٤٣٧.

(١٠) شيخ الإسلام ابن تيمية. طبعة المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩هـ.

(١١) عبد القادر الجيلانى. الغنية لطالبى طريق الحق، الطبعة الثانية، مطبعة البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٥٦، جـ٢.

(١٢) فى التصوف الإسلامى وتاريخه. وفى الهامش يفسر الزمخشرى الامر بالوحى والكلام ويذكر معانى ثلاثة لكلمة الروح، الأول خلق روحى عظيم أعظم من الملك، والثانى جبريل والثالث القرآن، وينطبق المعنى الأول على محمد عليه السلام.

(١٣) قاسم غنى. تاريخ التصوف فى الاسلام، ترجمة صادق نشأت، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٧٣م، جـ١.

(١٤) القشيرى، الرسالة القشيرية. الطبعة الثانية. القاهرة، ١٩٥٩م، ص٥٣.

(١٥) الكسيس كارل: تأملات فى سلوك الإنسان، ترجمة الدكتور. محمد القصاص، راجع مقداد يالجن، فلسفة الحياة الروحية، دار الشروق.

(١٦) محيي الدين بن عربى. الفتوحات المكية بتحققق الدكتور عثمان يحيى، الهيئة العامة لكتاب، القاهرة، ١٩٩٧٤.

(١٧) إبراهيم إبراهيم يس، المدخل إلى التصوف الفلسفى السيكوميتافيزيقي، الدار القومية للكتب، مطبعة بلال، المنصورة، ٢٠٠٣.

(١٨) محمد بن حمزه "الفنارى". مصباح الأنس بين المعقول والمشهود، نسخة خطية، دار الكتب المصرية، برقم ١٧٨ تصوف، طبعت بدار الكتب المصرية.

(١٩) منصور على منصور الشطى، تأنيس الإنسان، دراسة في الفكر الروحي الإسلامي، إشراف د. إبراهيم إبراهيم ياسين، طبعة ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤، بدون دار نشر.

Abstract:

The current research deals with one of the important issues in Islamic spiritual thought, and it is considered one of the episodes of civilizational and religious studies in the field of what is known as Islamic mysticism, and it is called the term spiritual studies. . And the subject of humanization is concerned with the search for the human being as a real human being who achieves his humanity when he is able to reach the level of his union with his reality in the fixed eye or the level of his humanization, which is for truth on the one hand and creation on the other.

This research is in the field of Islamic philosophical mysticism, whose pioneers were keen to determine the exact meaning and distinguishing characteristics that distinguish man from other creatures, but rather is concerned with searching for man at the highest levels, which is the rank of humanization. The thing that human beings do not enjoy except by returning to the origin of man in the scientific eye that is his in the divine science